عين المدينة

نبنيـــها معاً

www.3ayn-almadina.com

في المدينة...
- بانياس.. مهرجان الدم ص3
- السوريون في لبنان ص4
- مشغل الميادين ص5
- النفط.. مرة أخرى ص7
- ربيع مدارس الرقة ص8
- حمص وحلب: قصة مدينتين ص10-11
- شاعر المخيمات ص13
- الغارة الإسرائيلية.. بعيونهم ص18

عـين المدينـة | العـدد (4) | 16 أيـــار 2013

مجلـة نصـف شـهرية مسـتقلة

عدسة نوار - موحسن

أول الأهـداف التـي أحرزتهـا الثـورة السـورية في مرمـى النظـام كانـت الصـورة، أو الإعـلام. وتلاحقـت الأهـداف، لتكـرس وبجـدارة تفـوق الثـورة أخلاقيـاً عـلى السـلطة الحاكمـة.

وكـما هـو معلـوم، أفلسـت آلـة الدعايـة الأسـدية في خلـق إطـار منطقـي يوفـق بـين التبريـرات الحمقـاء التـي سـاقتها وتسـوقها إلى الآن في محاولتهـا لتبرئـة السـلطة وإثبـات شرعيتهـا مـن دون جـدوى، فعدسـات الناشـطين التـي تلاحـق المجـازر المتنقلـة عـلى امتـداد الارض السـورية، لم تـترك مجـالاً منطقيـاً لأحـد أن يتعاطـف مـع بشـار وزمرتـه ومؤيديـه، فكلهـم شـبيحة، يفتخـرون بذلـك علنـاً. والشـبيح أصـلاً، وفـق القامـوس السـوري قبـل الثـورة، مجـرم. ولم يعـد خـلال الثـورة إنسـاناً. وعجيـب كل العجـب أن يظهـر مـن يدافـع عـن قطيـع القتلـة الشـبيحة هـذا، أو يتفهمهـم مـن خـلال تطبيـع التعاطـي في شـأنهم، بسـلة أدوات تبـدأ بالثقافـة وتنتهـي بالنفـاق.

هـي حـرب فعـلاً، لكنهـا ليسـت أهليـة، فـلا يتقاتـل الأهـل هكـذا، بتعليـق رؤوس أطفـال بانيـاس عـلى سـيف يسـمى "ذو الفقـار" في اسـتعارة تخلـط الخرافـة بالعنصريـة بالإجـرام، تجتمـع كلهـا في رأس الشـبيح ووجدانـه، وتنعكـس في سـلوكه ذبحـاً وحرقـاً واغتصاباً. وعـلى العاقـل، إن بقـي في مجتمعات الشـبيحة عقـلاء، أن يسـأل نفسـه أولاً: هـل مـا زلنـا فصيلـة تنتمـي الى الجنـس البـشري؟ قبـل أن يقـول: نحـن جـزء مـن الوطـن.

ولكنهـم كذلـك بالفعـل، جـزء مـن هـذه الخريطـة المسـماة سـورية. ولكـن مـن قـال إن خرائـط البلـدان لا تتلـوث في بعـض أجزائهـا لقليـل أو كثـير مـن السـنوات؟

الآن، هـذا هـو المشـهد في كلـه، رغـم مـا أضافتـه الغـارة الإسرائيليـة مـن أبعـاد تبـدو لكثـير مـن السـوريين مقلقـة للغايـة.

طاولة جديدة للحوار باقتراح أمريكي روسي.. والملف خارج يد الدوحة

عين المدينة | خاص

تقارب روسي أمريكي

كانت زيارة وزير الخارجية الأمريكي جون كيري الأخيرة إلى روسيا سؤالاً مفتوح الاحتمالات، أكثر مما هي جواب يتضمن عقد مؤتمر جديد ستحاول فيه الدولتان جمع أطراف المعادلة السياسية السورية على طاولة واحدة في محاولة لخلق حل سياسي.

الأسئلة التي أثارها لقاء الدولتين الأكثر تأثيراً في النظام السوري والمعارضة السياسية، هي حول تلك الساعات الطوال التي قضاها كيري مع بوتين وناقشا الوضع السوري، وحول التقارب غير واضح المعالم الذي ولد فجأة إلى العلن بين القطبين الكبيرين، فهل ما قاله كيري عن تلاقي المصالح هو بالفعل ما سيجمع الروس والولايات المتحدة على رؤية محددة ذات معالم واحدة؟

المؤتمر الصحفي الذي جمع كيري ولافروف خرج بإعلان الاتفاق على ضرورة حث الحكومة السورية والمعارضة على إيجاد حل سياسي للأزمة من خلال عقد مؤتمر دولي حول سورية بأسرع ما يمكن، مرجحين انعقاده نهاية أيار الحالي. ولم يفت لافروف أن يلمح إلى تمسك بلاده ببنود قرار جنيف بالكامل.

بينما مال كيري إلى البراغماتية بالقول: "إن البديل عن التسوية السلمية في سورية هو مزيد من العنف، وسورية تقف على حافة الهاوية، إن لم تكن قد وقعت فيها فعلاً، والبديل أيضاً هو تصاعد الأزمة الإنسانية، وقد تتفكك سورية إلى أجزاء، وقد يكون هناك عنف طائفي وأعمال تطهير عرقي، ما يهدد أمن واستقرار المنطقة كلها". وما إن غادر كيري نحو الأردن حتى كرر الجملة الأمريكية المعتادة: "مستقبل سورية خال من الأسد" وإنما بصيغة مختلفة أكثر واقعية "إن أي حكومة انتقالية في سورية يجب أن لا تضم الأسد". بينما تراجع كيري مبدئياً في ما يخص الأسلحة الكيميائية بالقول "الرئيس أوباما أوعز بإجراء تحليل دقيق لهذه الحقائق والمعلومات، وأعتقد أن الكونغرس سيدرس نتائج هذا التحليل باهتمام قبل أن يتخذ أي قرار".

وفي وقت الاجتماع الروسي الأمريكي، درس وزير الدفاع الإيراني مع رئيس النظام السوري في دمشق حق سورية بالرد على العدوان الإسرائيلي الذي استهدف مناطق في ريف دمشق، إذ شجع الجانب الإيراني حليفه السوري على الرد، حسبما أفاد إعلام النظام ووفق وزير خارجيته وليد المعلم الذي قال إن الاحتمالات مفتوحة على كل شيء. إلا أن القرار الأمريكي الروسي يبدو أنه هو من سيحدد أبواب هذه الاحتمالات وأيها مفتوح وأيها مغلق.

قطر تترك الملف السوري...

نقلت مصادر كثيرة ورددت وسائل الإعلام قضية سحب الملف السوري من يد قطر، على خلفيات كثيرة أهمها معضلة تشكيل حكومة هيتو وثانيها فوضى الداخل السوري والتدخل الإسرائيلي حسب محللين. وقرار استبعاد قطر من الملف هو قرار أمريكي رافقته وبسرعة جولة زير الخارجية الأمريكي بين العواصم. بينما يتجه قادة المعارضة والائتلاف حالياً نحو الرياض، حيث سيستقر الملف السوري، وحيث حطت طائرات الائتلاف المتنقلة بين المطارات أخيراً ليجتمع كل من الرئيس المؤقت للائتلاف جورج صبرا، ومحمد طيفور نائب المراقب العام لإخوان سوريا ونائب رئيس المجلس الوطني، وعبد الأحد صطيفو رئيس كتلة السريان الآشوريين، مع الأمير بندر بن سلطان بن عبد العزيز رئيس الاستخبارات السعودية في مرحلة أولى ثم الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية.

سارع السعوديون إلى إبلاغ الوفد السوري المعارض بموقفهم المتمثل بضرورة "وقف الحرب الدموية عن طريق التفاوض ومن بوابة مبادرة المبعوث الأممي الأخضر الإبراهيمي. وهو موقف يلقى دعماً أميركياً كاملاً وتفهماً روسياً"، وربما هذا الاعتدال متناسب مع الدبلوماسية السعودية أكثر من تناسبه مع القطريين، على اعتبار أنه وليد محاولة خلق نقطة وسط يجتمع حولها الروس والولايات المتحدة وتنعكس بشكل سريع على الدولة العربية الأكثر تأثيراً في الملف وهي السعودية، بينما من الممكن أن يكون الاجتماع القادم للائتلاف وما سيتبعه من استحقاقات حول تشكيل الحكومة وسواها هو أحد انعكاسات تغيرات الطقس الدولي في ظل استمرار الثورة على الأرض.

بانياس.... وذُبحت المدينة أمام بحرها

معاوية الصخـري

وماذا بعد بانياس؟... هكذا تمر المدينة في معرض سؤال، وفي معرض تخوف الجميع من المجازر الجديدة التي تنتظر السوريين، وخاصة سنّة الساحل.. بانياس... المدينة الأسرع في إعلان ما حدث في درعا ثورة سورية كبرى امتدت من حوران بأقصى سرعة إلى الساحل المليء بعقائدي الأسد.

تمر بانياس وتصبح خلال أيام ذاكرة حربية، مدينة تعرضت لإبادة جماعية من قبل نظام ما زال مستمراً في انتهاكاته لكل أنواع الحقوق الطبيعية، بينما تشرق شمس نهار جديد على المدينة وقد دُمرت أقدم أحيائها "رأس النبع، رأس الريفة، الشيخ نجار"، وفقدت خيرة سكانها، ونزح من تبقى إلى مدن مجاورة أو إلى الأحياء الأقل تضرراً كالقبيات والميدان. بينما ما زال بعض ريفها المجرم وحي القصور والقوز فيها ينتظر حلقة أخرى للرقص على وقع سكاكين جيش الدفاع الوطني في رقاب "الإرهابيين" الذين لم يرفعوا أي سلاح ضد الشبيحة الذين اغتالوهم، ببساطة لعدم امتلاكهم هذا السلاح الذي اتهموا به وتمت تصفيتهم على أساس احتوائه وتمريره.

من البيضا بدأ الذبح، فالشهور الهادئة التي مرت على القرية المجاورة لبانياس لم تشف غليل الريف المحيط والمليء باللجان الشعبية والشبيحة والمتطوعين لحمل أي نوع من السلاح، فما إن تم اختلاق عذرٍ واهٍ حتى تم قصف المدينة من الزوبة وقلعة المرقب ثم حصارها ثم اقتحامها وتجميع شبانها وأطفالها في الشوارع وقتلهم بدم بارد باستخدام السكاكين والحجارة والحرق، حتى تم تفريغها بالكامل بين شهداء جاوز عددهم بحسب ناشطين 700، ونازحين على الأوتستراد المحيطة، إذ لم تفتح أبواب طرطوس لهم، فقط بعض القرى المجاورة كانت لها الأسبقية باستقبال بعض المكبلين من البيضا لقتلهم بشكل علني في القرية، سري على الإعلام.

وفي اليوم التالي تم تكرار الحالة في بانياس، لتتم تصفية عائلات في بيوتهم وفي الشوارع، ولتكتب أكبر مجزرة في تاريخ الثورة السورية، وأكبر عدد قتلى من الأطفال في أسرتهم والخزانات وشرفات المنازل والشوارع، لتكون النتيجة أيضاً مئات الشهداء بحسب نشطاء.

وبعد تلك المجازر بدأت عمليات حرق البيوت وتصفية الناشطين وملاحقة المصورين وشهود العيان واعتقال النازحين وبيع الأدوات المنزلية التي اعتاد شبيحة النظام على حملها من بيوت الضحايا.

خلت البيضا ومعظم أحياء بانياس من السكان. وبات بإمكان القتلة الاستثمار الجديد للمناطق الخالية بصيغة استيطان واضحة المعالم وبمبررات لا تحمل سوى المضمون الطائفي الدموي، وبإيعاز من المرجعيات السياسية والدينية لخلق موازنات جديدة في الساحل لن تتوقف عند بانياس ما دام الأسد يمتلك زمام المبادرة في حصد الأرواح على الجغرافيا السورية.

جولة صغيرة لكاميرا ناشط فرّ من تحت السكاكين إلى شوارع مدينته الخالية تثبت للعالم أجمع أنه لا داعي بعد الآن لبحث مسألة استخدام النظام السوري للسلاح الكيماوي، ما دامت السكاكين قادرة على تحقيق النتائج نفسها وبذات السرعة والفاعلية وبردود أفعال دولية عادية لا جديد فيها.

في لبنان.... سورية على شكل مخيمات ومقاهٍ وسيارات تاكسي

نبيل هلال

يثير الحضور السوري في لبنان مواضيع شتى، خاصة في الإعلام اللبناني، تتناول في غالبيتها أثر السوريين على الاقتصاد وبنية المجتمع، بينما يتجه بعضها إلى الحديث عن معاناتهم والهيئات الإنسانية والأهلية التي تقوم بالتخفيف جزئياً من هذه المعاناة. ويتصدر النازحون في المخيمات صورة السوريين في لبنان، على اعتبار أنهم جاوزوا الـ 700 ألف نازح وفق تقديرات، بينما سجل منهم في هيئات الإغاثة 400 ألف، تتراوح مشكلاتهم بين فقدان الرعاية الصحية والموارد الغذائية وكل مقومات الحياة العادية.

التواجد ضمن صيغ النزوح الإنساني يتضح في البقاع والشمال، أما الحضور السوري القائم على أسر دخلت لبنان فوجدت مساكن وأعمالاً فيما يشبه الهجرة المؤقتة فهو ما نلحظه ضمن مدينتي بيروت وطرابلس.

وبين نزوح ونزوح يلفت الوجود السوري الأنظار في لبنان، حيث تظهر تفاصيل المدن السورية ومهنها في الشوارع اللبنانية، وهو ما قد يشكل عبئاً حسب تعبير مواطنين لبنانيين. وهنا يجدر ذكر تصريح مستشار رئيس الحكومة المستقيلة للشؤون الاقتصادية سمير الضاهر حينما قال: "أثقل اللجوء اجتماعياً كاهل الأسر اللبنانية المضيفة في الشمال والبقاع، وتأثر سوق العمل بزيادة أعداد الوافدين، إذ يُشكل السوريون في لبنان مصدراً وافراً للقوى العاملة ذات الأجر المتدني، مما أدى إلى ارتفاع البطالة بين اللبنانيين، وخصوصاً فئات الفقراء المفتقدة للمهارات".

مهن سورية..

في الروشة، المنطقة الساحلية السياحية المشهورة، يمكن أن تسمع كلمات الكثيرين من الباعة المتجولين المعتادين في حلب ودمشق، بين بائعي الفول والقهوة والعصائر وحتى التصوير الفوري المشهور في دمشق بجملة "فوري فوري فوري... صور... فوري فوري فوري". وتتضح الصورة بشكل أكبر حين نجد فروج الزين الشهير في دمشق بفرعه الجديد في بيروت، وشاورما سومر الأشهر بحلب موجودة بكامل عمالها وشكلها في بيروت، ومحلات كريش للصندويش والمأكولات الجاهزة في حمص نجدها في طرابلس.

أما سيارت التاكسي فهي كما يعتاد السوريون، سائقون من ريف حلب وإدلب متواجدون في بيروت، بأساليب النقاش والموضوعات ذاتها، وإنما بلغة أكثر شجاعة في طرح الرأي.

يلاحظ في بيروت خصوصاً التواجد الكثيف للكتاب والصحفيين، فالمشهد العام الذي كانت تقدمه قهوة الروضة أو نادي الصحفيين أو حتى مقهى الكمال يمكن رصده في تاء مربوطة أو مزيان وغيرها من المقاهي والبارات التي يشكل الجمهور السوري فيها أغلبية. حتى الأحاديث لا تختلف كثيراً، إذ يشكل الراهن السوري والثورة موضوعاً أساسياً، وكذلك تحضر الرؤى الثقافية والآراء النقدية، وحتى الأمسيات الشعرية والنشاطات المسرحية والغنائية التي لا تبتعد كثيراً عن الواقع الثوري.. كذلك تحضر الشتائم والاتهامات بين من فرّ ومن باع القضية ومن يلبس قناع الثورة ليخبئ خلفه وجه النظام.

شبه..

يبحث السوري في لبنان دائماً عن مقابلات سورية لكل شيء، أشخاص أحياء شوارع محلات... وفي أول اتصال مع أهله أو أصدقائه في الداخل يصف الحي الذي يسكنه بالتشابه مع حي سوري إما تم تدميره أو ينتظر القذيفة، وأشكال البائعين والمحلات هي دائماً بوابات لذكريات منطقة لا تبعد بضعة كيلومترات عن محل الإقامة الجديدة.

مشغل الميادين...

محاولة أهلية ناجحة تكشف تقصير جهات الإغاثة

عبود الصالح

لؤي النايف | خاص عين المدينة

استطاع لؤي النايف (45 عاماً)، من أهالي مدينة الميادين، أن يخرج بمشروعه المتميز عن مألوف الأعمال الإغاثية، ومكّن 30 امرأة، يعملن في ورشة الخياطة الخيرية التي افتتحها، من أن يصرن عاملات منتجات، يعلن أسرهن وأطفالهن بعد أن كنّ في عداد مستحقي العون.

ومن جيبه الخاص، وبالتعاون مع جمعية الفجر الخيرية، اشترى النايف آلات خياطة وتطريز، مستفيداً من خبراته السابقة في هذا المجال، وفتح باب العمل للنساء المحتاجات من ذوي الشهداء، كما عمل على تدريب غير المؤهلات منهن ليتاح لهن العمل في مشغله.

يقول لؤي: في بداية الشهر الثالث من هذا العام بدأنا العمل في هذا المشغل. وهو مشغل للخياطة والتريكو والتطريز. جاء مشروعنا هذا استجابة للظروف الصعبة التي تعيشها مدينتنا. والهدف الرئيسي له هو إعالة أسر الشهداء والمعتقلين.

ويضيف لؤي: البعض من السيدات لا تسمح لهن ظروفهن بالعمل اليومي في المشغل، لذلك نحاول أن نؤمّن لهن آلات الخياطة في البيوت. وقد استطعنا تأمين خمس ماكينات لخمس سيدات ينجزن أعمالهن في منازلهن. وكذلك استطعنا تشغيل 15عائلة في أعمال الخرز اليدوية.

تواجه ورشة الخياطة هذه مصاعب عدة، يأتي في مقدمتها ارتفاع أسعار المواد الأولية وصعوبة الحصول عليها، إضافة الى مخاطر الشحن واحتمال تعرض البضائع القادمة إلى المحافظة للمصادرة من قبل الحواجز الأمنية.

نجح رجل الخير والتنمية هذا في تطبيق المثل المعروف "لا تعطني سمكة، بل علمني كيف أصطاد". ونجح أيضاً في تصريف منتجات ورشته وفي سوق الميادين الذي يعاني أصلاً من شح البضائع.

ويبدو لؤي طموحاً في مستقبل مشروعه، وحالماً بمشاريع كبرى تقدم عليها فعاليات أو جهات أخرى، وفق المبدأ الخيري التنموي ذاته، فافتتاح مشروع إنتاجي خيري بمليون ليرة، كما يقول، أفضل من توزيع سلال عذائية بهذا المبلغ، مع أهمية هذا الجانب في حالات الحاجة المباشرة.

ويلخص الرجل الفوائد التي حققها بتشغيل النساء أولاً، ثم تأمين البضائع للسوق المحلي بأسعار رخيصة ثانياً، وأخيراً إعادة توزيع الأرباح أو إنفاقها على الفقراء والمحتاجين، وهكذا تظهر المنفعة من جميع عناصر دورة الاقتصاد الصغيرة تلك.

لاقت فكرة لؤي الخيرية استحساناً عاماً من الأهالي والجمعيات الخيرية في الميادين، حيث يبدي الجميع إعجابهم بهذا المشروع. ولكنه يشكو من الإهمال الذي تبديه المنظمات والهيئات العليا للثورة بمشروعه، فلم يسأله أحد عن احتياجاته، ولم تقدم له أي من هذه الهيئات المساعدة.

ففي مكان آخر، في أروقة المكاتب وأدراج المؤسسات المعنية، تتراكم عشرات المشاريع الصغيرة المشابهة، دون أن يعنى بها أحد عناية جادة.

يتشدق موظفو المنظمات الإغاثية الكبرى بهذه الأفكار السهلة والعملية والواضحة، ويتفاخرون بنيّتهم أو رعايتهم النظرية لهذه المشاريع، من دون أي تطبيق عملي ناجح على الأرض. ويشابه هؤلاء، في طرائق عرضهم لنجاحات مشاريعهم الافتراضية من وراء الطاولات في مكاتب الخارج الفخمة، طرائق المدراء البعثيين في شرحهم لإنتاجية ونجاح مؤسساتهم في دولة آل الأسد.

وبدون اتهامات بالفساد لأحد، ودون تشكيك بالنوايا، يشكل شبان الخارج الإغاثيون عائقاً جدياً أمام توسيع هذا النشاط الاقتصادي والخيري البنّاء، بحماسهم الشكلي لها، وعجزهم عن التطبيق الواقعي، بسبب قلة خبراتهم أو إمكاناتهم من جهة، أو خضوعهم للجهات الداعمة من جهة أخرى.

لم يهتم لؤي، أو غيره من رجال الإغاثة والخير الحقيقيين في الداخل، بكل هذا. ولا يظهرون مبالاة تجاه الشائعات الكثيرة حول الفساد وسوء الإدارة والتدبير، التي تضرب بمفاصل تلك الهيئات وطرائق عملها.

الأسلحة الكيميائية.. سبل الوقاية والعلاج..

ياسر الشيخ

مع لجوء النظام إلى استخدام الأسلحة الكيميائية في مناطق عدة من سورية، وتوقع استخدامها في مناطق أخرى، هذه الأسلحة التي تسبب أعراضاً خطيرة ومميتة للجسم البشري وخلاياه، تختلف باختلاف المادة الكيميائية المستخدمة ودرجة التعرض لها؛ يجدر بنا تسليط الضوء على أنواع هذه الأسلحة والأعراض التي تسببها.

وللتعرف على أعراض الإصابة بشكل قريب للواقع، وبالاستعانة بشهادة سكان المناطق التي تعرضت للقصف بالأسلحة الكيميائية، كانت معظم حالات المصابين بها سيئة جداً مترافقة بأعراض جسدية عديدة كالوهن وغشاوة البصر وصعوبة التنفس واختلاج العضلات والتعرق والتقيؤ والإسهال والغيبوبة والتشنجات وتضيق بؤبؤ العين (حدقة دبوسية) واحمرار العينين وسيلان الأنف والعيون ونفث الدم.

كما أفادت الشهادات من تلك المناطق أن السكان شعروا بانتشار رائحة كريهة في الهواء بعد غارة مفاجئة للطيران، وأحياناً بعد قصف مدفعي, ولم تكن بالضرورة مترافقة مع أصوات انفجار شديد أو شظايا تؤدي إلى إصابات جراء هذه القذائف، ولكن هذه الأسلحة قد تقتصر في أضرارها على انتشار الغازات في الهواء والإصابة بها دون سابق إنذار سوى سماع صوت تحليق الطيران المروحي أو الحربي قبيل انتشارها.

ولعل أكثر الأسلحة الكيميائية المستخدمة أو التي يخشى استخدامها إلى الآن هي غاز السارين وغاز الخردل وغازات الأعصاب الأخرى والمواد الحارقة. ولهذه الأسلحة مجموعة إجراءات من الواجب اتباعها عند احتمال استخدامها أو بعد التعرض لها، فيفضل الجلوس في مكان مرتفع محكم الإغلاق وسد جميع المنافذ لمنع تسرب المواد السامة، والصعود إلى الطوابق العليا وارتداء الأقنعة الواقية أو ما يستعاض عنها، كاستخدام قطعة قماش مبللة بالماء أو أن يلف بها فحم طبيعي بعد طحنه ويوضع داخل بشكير مبلل، ويلف الفم والأنف. كما يمكن أن يستخدم البول البشري بوضعه على القطعة القماشية والتنفس من خلالها. ومن المحبذ ارتداء الملابس الواقية كالأكياس المطرية والقفازات العازلة، وإفراغ خزانات المياه المكشوفة، وعدم تناول الأطعمة التي قد تكون تعرضت لهذه المواد، وعدم الاقتراب من أماكن انتشارها إلا بعد أيام أو ساعات طويلة.

ويجب التعامل بحذر مع المصابين بتلوث الأسلحة الكيميائية خشية انتقال الإصابة للمسعفين جلدياً عبر اللمس والاحتكاك المباشر، لذا من الواجب عند بدء ظهور الأعراض السابقة القيام بخلع ملابس المصاب وتطهير جسمه بكميات كبيرة من الماء والتعامل معه بحذر لكي لا تنتقل المادة السامة جراء ملامسته، ويفضل اللجوء إلى تطهيره بمادة فلر إيرث (Fullers EARTH).

وإذا كانت الأعراض تشير إلى استخدام غاز الأعصاب فيجب تجهيز قوارير الأوكسجين وحقن الفاليوم (ديازبام) وريدياً أو عضلياً وحقن الأتروبين عضلياً لأنه يعتبر دواءً معالجاً لغازات الأعصاب، وكذلك تجب المضمضة بمحلول NaHCO3 تركيزه (5%)، وغسل الجسم بصابون بوتاسي أو بمحلول NaOH 2%.

أما إذا تعرضت المنطقة للقصف بالمواد الحارقة، وهي مواد تكون على شكل ضباب وبحرارة عالية مثل SO3، وتسبب سعالاً شديداً عند استنشاقها وآلاماً في الصدر ونزيفاً حاداً في الرئة وحروقاً شديدة على الجلد، فيفضل الانبطاح على الأرض, وتغطية الرأس باليدين أو تغطية الجسم بقماش مبلل.

وفي حال الإصابة يغسل الجزء المصاب بمحلول 3% (NaHCO3) ثم الغسل بالماء النقي والتحويل إلى أقرب مشفى ميداني أو نقطة طبية. وهنا لا بد من الإشارة لضرورة تجهيز أماكن خاصة ما أمكن ذلك تقي التعرض للإصابة بهذه الأسلحة، ووجود فريق طبي متخصص بحالات الإصابة بالأسلحة الكيميائية مجهز بالطرق الوقائية والعلاجية السريعة. كما يفضَّل أن تكون هناك إشارات متفق عليها محلياً تشير عند استخدامها إلى تعرض المنطقة للقصف بهذه الأسلحة.

النفط... مرة أخرى

حسن فناد

عدسة نوار | خاص عين المدينة

يطلق الديريون، ريفاً ومدينة، مدنيين وعسكريين، شتائم لاذعة بحق ممتهني الحرف النفطية الناشئة مؤخراً، في الاستخراج والنقل والتكرير.

ولا يمر يوم على شخص في دير الزور إلا وقد تناول مرة أو مرتين حديث الساعة وقضية الرأي العام المحلي الأولى "لصوص النفط" كما يحب الناقمون على ظاهرة النفط العشوائي أن يسموا العاملين بهذا القطاع بمهنه المتعددة، التي تبدأ بالاستخراج وتنتهي بالتكرير أو محاولات التكرير بمطابخ البترول الحر العشوائية، التي انتشرت وما زالت تنتشر رغم ضخامة الجمهور المضاد وموقفه الداعي إلى إيقاف هذا العمل، هذا الموقف الذي ظهر في مرات كثيرة بأساليب مجابهة حادة وصلت إلى المنع بقوة السلاح، لتجلب في مرات أخرى ردود فعل شرسة أو دفاعات مستميتة من جانب المستفيدين الذين يعتبرون النفط وتكريره رزقاً مشروعاً كغيره من الأرزاق.

ومن مظاهر الأذى المضافة إلى قائمة أضرار النفط الكبيرة، يبرز تلويث المياه بمخلفات التكرير الناتجة عن الورشات العشوائية التي تصفي النفط أو تحاول ذلك بطبخه أو حرقه إلى درجة الغليان.

وعلى ضفتي الفرات، وضفته الشمالية (الجزيرة) بالتحديد، تنتشر عشرات الورشات البدائية التي أقيمت على الشاطئ النهري قصداً لتسهيل العمل بتخلص سهلٍ من المخلفات، وذلك بتدفقها "وبالراحة" كما يسخر مهندسو المياه بمرارة من هذه الظاهرة الخطيرة.

وفي تطور لافت توقفت محطة تصفية المياه في بلدة ذيبان عن العمل لعدة أيام نتيجة ارتفاع معدلات التلوث في المياه الخامية المستجرة من النهر، وفق نتائج التحليل المخبري لعينة من المياه قام بتحليلها فنيو المحطة المذكورة، فقد أشارت إلى استحالة معالجة هذه المياه بأساليب أعمال التصفية المعروفة، إذ تعجز أحواض الترسيب وأعمال التصفية والتعقيم اللاحقة عن تنظيف المياه مما لحق بها من تغير خطير في المواصفات بتأثير المواد العضوية أو الكيماوية الناتجة عن التكرير، والتي تحول ماء الشرب بحد ذاته إلى مادة لا تصلح للاستخدام البشري. مما اضطر الأهالي في كثير من القرى والبلدات على طول الفرات إلى التخلي عن مياه النهر واستعمال مياه أنقى تجلبها صهاريج من عيون الماء القليلة الموجودة في البادية.

يقول علوان، وهو فلاح خمسيني ناقم على "حرامية المازوت" كما يسميهم: لقد لوث هؤلاء المجرمون الماء بعد أن لوثوا الهواء، إنهم قتلة وعملاء لبشار الأسد.

وكالعادة، يقدم "النفطيون" في كل مرة ذات الحجج في معرض دفاعهم عن مهنتهم الوليدة: "وماذا نفعل؟ نريد أن نطعم أطفالنا. لولانا لتوقفت السيارات والجرارات ومحركات الري، ولولانا لاستطاع بشار الأسد أن يخنق الثورة ويشل تحركات الثوار".

ويسجل الظرفاء من المشتغلين بالبترول الخام ملاحظة مشاكسة: "ولماذا لم تحتجوا على عائلة الأسد التي سرقت النفط خلال أربعين عاماً؟ ومنعتنا من العمل فيه حتى كحراس أو خدم لمتعهديه! دعونا نعمل ونبني أنفسنا ولو لسنة واحدة".

ورغم ذلك، يخلص المتابعون والمهتمون بهذا الموضوع إلى نتائج متفائلة، ترتكز إلى المحاولات الجادة والطموحة التي أخذت بالاتساع والتطور باتجاه مكافحة هذه الظاهرة. إذ تعمل المجالس المحلية للقرى والبلدات في ريف دير الزور، بتنسيق مع الكتائب والتشكيلات المحترمة من الجيش الحر، على التحضير لحملة كبرى تهدف إلى علاج هذه المشكلة وتنفيذ حلول واقعية لها على مراحل، تبدأ بوقف التكرير في المناطق السكنية المأهولة وتنتهي بالسيطرة الكاملة على الحقول والآبار النفطية، وبأقل قدر من العنف والتصادم.

الرقة التي تتقن حمل القلم قبل السلاح
حملة "لن أترك مدرستي"

حياة الخضر

عدسة أحمد - خاص عين المدينة

بعد تحرير محافظة الرقة، قامت قوات النظام بالانتقام من المدينة، كما تفعل في كل المناطق التي تخرج عن سيطرتها، فقصفتها بالطائرات وقذائف المدفعية والهاون. مما جعل المدينة في حالة من الموت دفعت الكثير من التجمعات الثورية المدنية إلى العمل بشكل جاد لإعادة الحياة إلى الرقة، ولإبراز دور الأطراف الثورية كبديل عن النظام من جهة تسيير الأمور فيها على كافة الصعد.

وفي قطاع التعليم تم إطلاق حملة "لن أترك مدرستي" من قبل هيئات شبابية لإعادة فتح المدارس. فريق عين المدينة استطلع الوضع في هذا الجانب...

يقول محمد، وهو عضو في تجمع شباب الرقة الحر: "بعد تحرير الرقة نزح قسم كبير من الأهالي بسبب القصف. وكانت الدوائر الحكومية والأسواق والأفران مغلقة، فحاولنا من خلال التجمع، وبالتعاون مع تجمعات أخرى، إعادة الحياة إلى المدينة. فقد اقترح مجموعة من الشباب تنشيط الحركة التعليمية... فقمنا أولاً بإحصاء المدارس ثم اخترنا مجموعة منها حسب الحاجة لإعادة تأهيله كي تصبح جاهزة لدوام الطلاب، وتقاسمنا المهمات بين تنظيف هذه المدارس وتغطية النقص من المقاعد الدراسية وسلمناها للمسؤولين عن هذا الموضوع".

ويقول فراس، وهو مدير إحدى المدارس الابتدائية: "كنت مديراً لهذه المدرسة قبل تحرير المدينة. وبدأنا باستقطاب الطلاب ابتداءً من الأهالي النازحين في هذه المدرسة وانتهاءً بإلصاق منشورات على جدران المدينة لدعوة الطلاب إلى المدارس. وقد اجتمعنا بالأهالي لإقناعهم بضرورة إرسال أبنائهم، فالأوضاع الراهنة قد تستمر لفترة طويلة. كما قمنا بتغيير وقت الدوام من الفترة الصباحية إلى فترة الظهيرة لأن الطيران الحربي ينشط في الصباح. وقد لاقت الفكرة قبولاً جيداً من الأهالي. وقمنا بعد ذلك بفرز الطلاب كل حسب مستواه...".

أما رهام، وهي معلمة متطوعة، فقد قالت: "كنت من بين المشاركين في حملة "لن أترك مدرستي". وبما أنني خريجة كلية التربية لذا قررت أن أقوم بالتدريس... أغلب طلابنا هم من الأطفال بين صفّي الأوّل والثالث، لذلك نقوم أنا وزملائي بترفيه الأطفال بالإضافة إلى تدريسهم، فالبسمة غابت عن وجوههم منذ تحرير الرقة... بسبب القصف".

ولإسماعيل قصة طريفة، فهو أحد عناصر الجيش الحر، وقد تطوع ليدرس الطلاب مادة اللغة الإنكليزية. يقول: "كنت أعمل كمندوب مبيعات في إحدى الشركات، وخبرتي في اللغة الإنكليزية كبيرة. وما دفعني إلى التدريس في هذه المدرسة هو رغبتي في تقديم المساعدة خارج العمل المسلح. وقد تستغربون من ذلك... ولكني أكره السلاح واضطررت إلى حمله كي أدافع عن أهلي ضد هذا النظام الهمجي. وأنا سعيد جداً عندما أكون في المدرسة. كما لدي القدرة على الفصل تماماً بين كوني عنصراً في الجيش الحر وبين عملي هذا... فأنا لا أحمل السلاح أبداً في المدرسة، وأحاول قدر الإمكان إبعاد هذا الموضوع عن ذهن الأطفال. وعندما يسألني التلاميذ عن الجيش الحر والسلاح أجيبهم بأنهم يجب أن يهتموا بأمور أخرى".

عدسة أحمد - خاص عين المدينة

إن إصرار الطلاب والأساتذة على العودة إلى المدارس ليس إلا وليد الإصرار على الحياة بشكل عام. وإن الاشتباك الذي قد يجري بجانب المدرسة ما هو إلا طريق لفتح مدرسة أخرى. أما محاولات النظام لتدمير كل البنى التي تنشأ في المناطق المحررة فهي جزء من إصراره على إبادة أي جانب حي وفكري في هذا الشعب الذي لا يمكن إغلاق باب المدرسة في وجهه.

الكـاميـرا

أحمد مهيدي

كانت الصورة هي السلاح الأمضى في مواجهة البطش الذي مارسته السلطة الأسدية لسحق الثورة في مرحلتها السلمية. وكان مقطع فيديو واحد لبضع مئات من المتظاهرين كافياً لإثبات حركة الاحتجاج في إحدى المدن. وكان رد إعلام النظام يأتي عبر صور أخرى تبرز مسيرات التأييد التي تنظمها المخابرات السورية.

ومن أيام الاحتجاج السلمي تلك برز أبطال إعلاميون، تميزوا بالجسارة والتحدي بالتقاطهم لصور ومقاطع فيديو للمظاهرات وما رافقها من قمع وحشي. ولاقى هؤلاء الإعلاميون النصيب الأكبر من العقاب في قانون عقوبات الأمن السوري المرتجل في وجه الثوار السلميين.

وبتطور الأحداث وانتقال الثورة إلى طورها المسلح، أضيفت مهام أخرى أكثر خطورة للكاميرا، فتنوعت قائمة أعمالها من رصد القصف إلى ملاحقة الغارات الجوية والبراميل الطائرة، إلى مرافقة مقاتلي الجيش الحر أثناء المعارك. وكذلك كانت الصورة هي الدليل الأكبر على النصر وإحراز التقدم والسيطرة على المدن والمواقع العسكرية، وغير ذلك من معطيات القتال والثورة الأخرى. مما أدى إلى سقوط عدد من الإعلاميين شهداء. ولكن، وفي سياق آخر، صارت الكاميرا موضع اتهام بأنها تستجلب القصف والقذائف والغارات برصدها لمظاهر الحرية والنصر والاستقلال. وهي بذلك ـ بحسب حجة المتهمين لها ـ تستفز الغرائز الوحشية لقوات الأسد من خلال تحديها لها ولفت انتباهها (بغير قصد) إلى مناطق وأحياء محررة تمكنت من الحياة من دون الأسد.

يقول مرهف، وهو ناشط إعلامي في أحياء دير الزور المحررة: كنت أقوم بتصوير المظاهرات السلمية منذ بداية الثورة، وتابعت العمل في هذا المجال منذ بداية العمل المسلح...

في البداية لم نكن نواجه أي إشكال

عدسة نوار - خاص عين المدينة

عندما نقوم بالتصوير، بل على العكس تماماً كان الجميع ـ مدنيين وجيش حر ـ هم من يطلبون منا ذلك. ولكن منذ فترة شاعت بين صفوف الجيش الحر عبارة "لا تصور تا ما ينقصف المكان!" وأصبح المدنيون يرددونها أيضاً.

وفعلاً، وبحسب روايات الشهود، أغارت طائرات الميغ على أحد الأحياء، وبشكل متكرر، بعد تداول مقطع فيديو يظهر تمركز مقاتلين من الثوار مع رشاش مضاد للطائرات في إحدى النقاط في ذلك الحي.

ويبدو الحذر في التعاطي مع الإعلاميين جدياً إلى حد كبير، ويصل في مرات كثيرة إلى حد الشجار أو الضرب، كما حدث مع أحد النشطاء الذي كان يصور قرب مقر إحدى الكتائب في أحد أحياء دير الزور المحررة.

يقول أبو أغيد، وهو قائد ميداني لإحدى تشكيلات الثوار المقاتلة: أنا لا أشكك في أهمية الإعلام ودوره الكبير في هذه الثورة، ولكن هناك بعض الإعلاميين يمارسون المهنة بطريقة خاطئة، فهم يقدمون ـ بدون قصد ـ معلومات استخباراتية للنظام على طبق من ذهب... بالإضافة إلى أننا في الفترة الأخيرة نخوض معارك طاحنة في ظروف أقل ما يقال عنها إنها قاسية، والنظام يحاول جاهداً معرفة عددنا وأماكن وجودنا وآليات تمركزنا، وهذا ما دفعنا إلى منع بعض الإعلاميين من التصوير في القطاعات التي نرابط فيها. ونحن سمحنا لبعض الإعلاميين، الذين نثق بمراعاتهم لهذه الأمور، بالتصوير في الأماكن التي نتواجد فيها، وتم ذلك بإشرافنا...

الإعلام والتصوير موضوع سجالي

في الجزء المحرر من مدينة دير الزور، بين صفوف المدنيين والمقاتلين أيضاً. يرى محمد، وهو شاب جامعي، أن هناك تناقضاً في موقف الحذرين من التصوير، فهم أنفسهم ـ كما يقول ـ أول المحتجين على إهمال دير الزور في وسائل الإعلام. أما أبو عمر، وهو رجل أربعيني من سكان حي الحميدية، فيؤيد الرأي السائد بضرورة الحذر الشديد تجاه الصور والكاميرات. فهو يؤكد أن التصوير سبّب هجمات جوية وقصفاً بالمدافع، مما أدى إلى سقوط شهداء أحياناً. ولذلك يجب تغليب مصلحة الحفاظ على الأرواح على منافع الكاميرا والإعلام.

شقيقتان في التضحيات والدمار..

قصة مدينتين: عن ثورة حمص الشاملة واستعصاء حلب المدمَّرة

حسيب عبد الرزاق

قدمت مدينة حمص حتى الآن 10800 شهيد قرابين لثورة الحرية والكرامة، كما قدمت حلب 10000 شهيد، لتتشابه المدينتان في حجم التضحيات لإسقاط نظام الأسد. إلا أن اختلافات جوهرية بين المدينتين قد تبرز من خلال مراحل الحراك الثوري منذ بدايته في سوريا، مع تشابه بنسبة المؤيدين واختلاف في انتمائهم الديموغرافي، فالموالون للنظام في حمص هم أحياء الطائفة العلوية التي ينتمي إليها بشار الأسد، بينما مؤيدو النظام في حلب هم من طبقة التجار والأثرياء ورجال الأعمال الذين ترتبط مصالحهم بشكل وثيق مع النظام.

البداية: دراماتيكية في حمص ومباغتة في حلب

أذهلت مدينة حمص السوريين والعالم بقوة احتجاجاتها المناهضة للنظام، فدخلت في الأسبوع الثاني من عمر الثورة في الحراك الشعبي لمساندة درعا مهد الثورة. ومنذ ذلك الوقت تحولت مطالب المتظاهرين من التنديد بقمع الأسد لأهالي حوران إلى المطالبة بالحرية وإسقاط النظام. والملفت كان حجم المشاركة الكبير للأحياء القديمة والشعبية والراقية، ما لم ينجح في تحقيقه ثوار مدينة حلب، حيث بدأ الحراك بإيقاع بطيء مكّن النظام من البطش بالثوار والتنسيق مع عملائه والمرتبطين معه مالياً وأيديولوجياً لتنظيم مسيرات مؤيدة حاشدة تساند النظام في قلب المدينة.

شاركت أحياء حمص القديمة بقوة في إشعال الحراك المناهض للأسد ونظامه الدموي وفساده عبر عقود، وشكلت أحياء باب السباع وباب الدريب وباب هود وبستان الديوان والحميدية والسوق القديم وجب الجندلي عنصراً قوياً للحراك السلمي. مما فاجأ حتى النظام الذي لم يستطع وأد هذه التظاهرات، بالرغم من حجم القمع الكبير وقتل الكثير من الناشطين والإعلاميين وزج آلاف الشباب الثائر في السجون والمعتقلات. وواكبت الأحياء الكلاسيكية الأخرى هذا الحراك بشكل سريع ومواز للأحياء القديمة، فدخلت أحياء الخالدية وجورة الشياح والقصور على خط الثورة بقوة، ونظمت مظاهرات حاشدة داخل أحيائها، إلا أن دخول حي بابا عمرو كان الأبرز والأقوى، وشكل مفصلاً في تاريخ الثورة وتحول إلى أيقونة لها. وما ميزه هو استعصاؤه على القمع الأسدي الذي عجز عن اقتحام الحي لأشهر طويلة، في حين تمكن من ضبط إيقاع الاحتجاجات في حي باب السباع لمجاورته للأحياء الموالية.

وعلى الرغم من خروج أول مظاهرة مناهضة لنظام الأسد في حلب في "جمعة العزة" بتاريخ 25 آذار سنة 2011، إلا أنها لم تصل إلى قوة حركة الاحتجاجات في حمص. وفي تاريخ 30 حزيران 2011 أطلقت تنسيقيات الثورة "بركان حلب" لتوسيع حجم المظاهرات في المدينة، ونجح هذا التحرك بخروج مظاهرات في أكثر من عشر مناطق ومحاولة الثوار القيام باعتصام في ساحة سعد الله الجابري الشهيرة في قلب المدينة.

طبقة التجار من عوائق الثورة في حلب

تأخرت حلب في اللحاق بركب الثورة، إذ كانت صلة تجارها وأثريائها مع النظام قوية إلى حد كبير عبر شبكة من المصالح التجارية والمالية. وتورط رموز كلاسيكيون من تجار حلب في تنظيم ومنهجة عمليات وأد الاحتجاجات والحراك السلمي في الأحياء الحلبية في مهدها، ومنعها من التقدم والتضخم ككرة الثلج كما جرى في حمص، التي شارك كبار تجارها في دعم الاحتجاجات بشكل علني وقوي ومؤثر جداً، شكل حاضنة تجارية ومالية وإغاثية لكل الأحياء الثائرة، كما قاموا بالمشاركة في تنظيم الاحتجاجات وتقديمها بحلة سلمية حضارية في رسائل موجهة عبر اللافتات إلى العالم والمجتمع الدولي، وشهد (اعتصام الساعة) أرقى أشكال هذا الاحتجاج.

وارتبطت مصالح تجار حلب بشكل كبير بمصالح الاقتصاد السوري في عهد النظام، وسخّر هؤلاء التجار إمكانياتهم لترويض أي حراك جمعي من الطبقة الوسطى والفقيرة في حلب من العمال والموظفين التابعين لهم كي لا يقوموا بأي نشاط معارض ضد النظام. وأصبحت كثير من العائلات والعشائر الحلبية الكبرى تقدم أبناءها للمشاركة في قمع المظاهرات. واشتهر اسم آل بري في قمع ثوار حلب، وقاموا بالقتل والتنكيل بتوكيل مباشر وعلني من النظام.

اختلاف في أداء المشايخ والوسط الديني

برز دور مشايخ حمص بسرعة في دعم الحراك الشعبي وتصدر أجزاء من مشهده، فترددت أسماء كلٍ من الشيخ أنس سويد والشيخ محمود الدالاتي والشيخ سهيل جنيد كداعمين للثورة في مواقفهم المعلنة ولقاءاتهم مع رموز السلطة ـ آنذاك ـ وفي تنظيمهم لشبكات خيرية أهلية تقوم بمساعدة المتضررين وطلائع النازحين من الأحياء التي بدأت تتعرض للقمع المفرط. مما عزز من طابع الثورة الحمصية بوصفها ثورة مجتمع ضد سلطة جائرة، ومنح الحراك مشروعية دينية مؤثرة أدت إلى سهولة اتساعه في مختلف الأوساط التي سبقت الإشارة إليها.

أما في حلب المدينة فقد توزع المشايخ على مواقف ثلاثة؛ فقلة قليلة منهم أيدت الثورة وشاركت في بعض نشاطاتها، فتعرضت للقمع أو الاعتقال أو اضطرت إلى مغادرة البلاد. بينما أفرطت فئة قليلة أخرى

في تأييد النظام، نتيجة ارتباط ولائها ووظائفها بمفتي الجمهورية الرسمي أحمد حسون. أما الكتلة الكبرى من المشايخ والأوساط المتدينة الواسعة في حلب فقد ظلت تنأى بنفسها عن اتخاذ موقف، ونظرت إلى ما يجري بوصفه "فتنة" مقلقة، رغم معرفتها الأكيدة بمدى الجور الذي مارسه نظام الأسدين لعقود طويلة. هذا الجور الذي لم يعد هناك أفق واضح لإمكانية التعايش معه، حتى بالنسبة إلى هؤلاء، بعدما انتقل الحراك الحلبي إلى العمل المسلح، ورد عليه النظام بقصف الأحياء المأهولة التي خرجت عن سيطرته.

التسليح ونقطة التحول في حمص

بالرغم من امتناع ثوار حمص عن التسليح في الأشهر الأولى من عمر الثورة، إلا أن هذا الامتناع كان ناجماً عن تنظيم محكم من قبل المثقفين والنخب وطبقة التجار في المدينة لسد الطريق على تلفيقات وأكاذيب النظام وإعلامه الذي اتهم الحراك بأنه تمرد مسلح تقوم به عصابات لديها أجندات خارجية. إلا أن الوحشية التي اتبعتها عناصر الأمن، مع دخول الجيش لدعم القمع، أدت إلى قيام الأهالي بطلب الحماية من المجتمع الدولي الذي تعامى عن كل ما يجري من جرائم، فقامت بعض الأحياء بتحصين نفسها لردع قوات الأمن والجيش من اقتحام الأحياء وقتل المتظاهرين، وشكل هذا عاملاً حاسماً في الثورة طيلة أشهر، وحفز بعض المدن الثائرة الأخرى على توسيع حجم التظاهر وحماية نفسها بالطريقة ذاتها.

في السنة الأولى من عمر الثورة، لم تكن أحياء حلب الثائرة قد فكرت بالتسلح لحماية المتظاهرين من وحشية النظام، لأن حجم الاحتجاجات كان ضئيلاً قياساً على حجم المدينة الكبير وتقاعس كثير من الأحياء عن الخروج في الشوارع، حتى اعتقد الشعب السوري أن في حلب ثورة ريف خارج المدينة وثورة طلابية داخلها فحسب، وأنها ستبقى عصية على دخول ركب الثورة بشكل كامل كما حدث في حمص.

الجيش الحر: حاضن في حمص ومفاجئ في حلب

بعد إعلان تأسيس الجيش الحر في تموز 2011 دخل عنصر التسليح في حمص، وبدأت تظهر عبر وسائل الإعلام كتائب وتشكيلات عسكرية من المنشقين عن جيش الأسد وهم يتجولون في شوارع المدينة وأحيائها الثائرة، وكانوا يشكلون رادعاً قوياً للنظام بعدم التعرض للمظاهرات السلمية. وظهرت كتيبة/ كتائب الفاروق في حي بابا عمرو الذي شكل حاضناً شعبياً لها. وقد اكتسبت هذه القوات العسكرية الثائرة مشروعيتها القانونية من كونها قوات دفاعية للمعارضة لصد اعتداءات الشبيحة وقوات الأمن وجيش للنظام، ومن دعم دول عربية وتأييد غير معلن من دول أوروبية والولايات المتحدة. وكانت هذه القوات تقوم بالتفاوض مع اللجان الأمنية التي تزور المدينة.

ويختلف دور الجيش الحر في حلب عنه في حمص، من حيث تأخر وجوده، ومدى قبول الأحياء الحلبية لتشكيل حاضنة شعبية له، باستثناء بعض الأحياء الثائرة. ومنذ أن بدأ الثوار المسلحون في تموز 2012 بدخول حلب قادمين من البلدات والقرى المحيطة، وأعلن لواء التوحيد بدء معركة تحرير حلب، فرض الثوار سيطرتهم على أحياء صلاح الدين وسيف الدولة وبستان القصر والكلاسة والسكري والصاخور ومساكن هنانو. وما زال النظام يسيطر الآن على أحياء (الحمدانية، حلب الجديدة، الفرقان، جمعية الزهراء، شارع النيل، السبيل، العزيزية، السليمانية، محطة بغداد)، وعلى 20 % من حي صلاح الدين و30 % من العامرية، و40 % من الجابرية و60 % من الميدان، وفق ناشطين.

تشابه في النزوح وحجم الدمار

في هذا الوقت، يتشابه حجم الدمار الذي ألحقته قوات النظام بكل من مدينتي حمص وحلب، إلا أن الحملة العسكرية ضد مدينة حمص وأحيائها سبقت الحملة على حلب. وقد دمر القصف المدفعي والجوي أحياء في حمص بالكامل، كالمدينة القديمة وبابا عمرو والخالدية، وباقي الأحياء مدمر بنسبة 50 بالمئة كحي باب السباع. وفي حلب دمر القصف أحياء حلب القديمة وسوقها الأثري. وسبق هذا الدمار نزوح الأهالي من حمص إلى مدن حماة وطرطوس واللاذقية ودمشق، ولجوء عشرات الآلاف إلى لبنان، وأصبحت أحياء المدينة الثائرة غير مأهولة إلا من الثوار وكتائب الجيش الحر، وعدد قليل جداً من العائلات التي لم تستطع النزوح. ولجأ معظم الحلبيين المهاجرين إلى تركيا، في حين نزح جزء من المؤيدين والناقمين على الجيش الحر إلى اللاذقية، وبإشراف من حكومة النظام التي جعلت من المدينة الرياضية ملاذاً آمناً لهم .

ويعتبر حي الوعر (حمص الجديدة) معقلاً لـ 400 ألف نازح من أحياء حمص القديمة، وتتشابه الحالة في أحياء حلب التي ما زالت تحت سيطرة النظام، التي تؤوي أكثر من نصف مليون نازح هربوا من القصف الذي شمل أحياءهم في مدينة حلب. والفرق بين النزوحين أن نزوح أهل حمص كان بشكل بطيء وتدريجي منذ بداية الحراك في آذار عام 2011، نظراً للحملات العسكرية المتواترة وهرباً من القصف المدفعي والجوي لقوات النظام، بينما تأخر نزوح الحلبيين إلى ما بعد أكثر من عام من عمر الثورة، بعد دخول الجيش الحر المفاجئ والشامل لتحرير أحيائها من سيطرة ميليشيات النظام.

قصـــة جريح

سامي السعيد

عدسة سامي | خاص عين المدينة

لا توجد أرقام دقيقة لعدد الإصابات التي تسبب ضرراً دائماً، جراء الحرب التي تشنها قوات الأسد في المدن والمناطق السورية. هناك تقديرات فقط تتحدث عن رقم جاوز المائة ألف إصابة من هذا النوع، تتنوع من فقدان الأطراف إلى الشلل الجزئي أو الكامل وغيرها.

ولا يبدو أن ملف الجرحى قد لاقى، رغم أهميته الكبرى، أي اهتمام جدي من المؤسسات والهيئات ذات الاختصاص.

محمد جبارة (30) عاماً، ابن مدينة موحسن، واحد من الجرحى. قاتل بضراوة في معارك دير الزور. فقد ذراعه اليمنى في معركة تحرير مقر الهجانة، إثر إصابته بشظايا قذيفة دبابة، وتضررت ذراعه الأخرى بأضرار بالغة.

وفي رحلة الجريح محمد تلك وقصته، تكتمل العناصر المؤلمة في حكايا الجرحى السوريين. فبعد إسعاف أولي في أحد المشافي الميدانية، نقل هذا الشاب إلى خارج المدينة بمغامرة على قارب صغير عبر نهر الفرات. ومن ثم أجريت له عمليات جراحية أخرى. وبمساعدة الأصدقاء تمكن محمد من السفر إلى تركيا لإجراء عملية جراحية في ذراعه.

بلهجة واثقة يتحدث محمد عن إصابته بالقول: في يوم السبت 23/6/2012 أصبت بمعركة الهجانة في دير الزور، وأسعفت إلى مشفى ميداني هناك، وبذل الجميع كل ما يستطيعون لإنقاذ حياتي، ثم نقلت إلى خارج المدينة لإكمال العلاج. شعرت بإحباط عندما قال الطبيب إنه لا أمل لي في استعادة ذراعي. ولكنني كنت أقول منذ البداية: "الحمد لله فذراعي سبقتني إلى الجنة". أتمنى لو أن إصابتي كانت أخف قليلاً، لكنت استطعت الخروج مع رفاقي إلى جبهات القتال. لكن هذا ما جرى والحمد لله على كل حال.

كانت أياماً صعبة. كنت عاجزاً عن القيام بأي شيء بعد أن فقدت ذراعاً وتحطمت ذراعي الأخرى. زوجتي كانت تطعمني وتسقيني وتأخذني إلى الحمام، ويسارع ابني لمساعدتي في أبسط الحركات. راودتني الآمال عندما قرر أصدقائي نقلي إلى تركيا، وفعلاً تحسنت حالتي عموماً بعد أن أجرى الأطباء هناك عملية بتر ثانية ليدي من أجل تركيب كف صناعية، ولكنني ما زلت بحاجة لإجراء عمليات جراحية لذراعي الثانية لاستئصال الشظايا ثم زراعة مفصل، قبل أن تبدأ مرحلة العلاج الفيزيائي. والحمد لله أستطيع الآن أن أمسك بكأس ماء وأشرب دون مساعدة من أحد.

استطاع محمد أن يعثر على عمل في محل ألبسة في مدينته موحسن، للإنفاق على عائلته المكونة من زوجة وأطفال أربعة. وهو يظهر امتناناً كبيراً للأصدقاء والأقارب الذين وقفوا معه في محنته.

ليس سهلاً أن يفقد المرء يده ويستأنف حياته كأن شيئاً لم يكن، وخاصة لمقاتل كانت يده جزءاً من البندقية التي تحملها، فلا بد من إرادة وإصرار على ذلك. ويبدو أن محمداً استطاع أن يتجاوز إصابته بعزيمة ورغبة بالحياة، وتمكن من التكيف مع وضعه الجديد، ولم يترك نفسه فريسة لليأس أو الانحراف أو السخط ، وهذا احتمال وارد جداً في قصص الجرحى، وخاصة مع الأوضاع المزرية والمأساوية التي يعيشها هؤلاء ابتداءً من العلاج وانتهاءً بحاجة المصاب إلى المساعدة في شؤون المعيشة بعده.

وتتهرب معظم هيئات المعارضة السورية من التصدي لهذه المشكلة، وتكتفي بعبارات تعاطف عامة وشكلية، وتسارع الى تقديم أعذارها، وهي موضوعية في أكثرها، فمشكلة الجرحى وعلاجهم كبيرة فعلاً. لكن هذا لا يعفيهم من القيام ببعض الإجراءات النافعة في هذا الباب. فعلى سبيل المثال تستطيع هيئة كبرى مثل الائتلاف افتتاح مكتب متخصص بشؤون الجرحى، يجري أبحاثاً ميدانية وإحصائية تعتمد على البيانات المتوفرة لدى ناشطي القطاع الطبي على الأرض، لتخفف من حالة الفوضى والعشوائية والإهمال في هذا الملف، وتقدم على الأقل إحصاءات جدية تعبر عن أرقام الإصابات التي تسبب عاهة دائمة وأنواعها وتقييم احتياجات المصابين ومستلزمات علاجهم.

شاعر المخيمات

محمد وضاح

إنه نادر، النازح إلى مخيم أطمة، والمدرس السابق الذي لا يكف عن كتابة القصائد وقضاء معظم النهار في صحبة القلم والأوراق، وإنشاء أبيات شعر وجدانية تتحدى المعاناة والقهر والموت، وتستلهم معاني العزة والبطولة والكرامة.

ومن داخل خيمة النزوح التي سكنها هذا الشيخ الذي تجاوز الخامسة والستين، يُسمع نادر يتلو قصائده بصوت حيوي ولغة عربية فصحى سليمة، صوت شجاع وصامد كما صمد صاحبه في قريته الأصلية كفرنبودة تحت القصف الهستيري والبراميل الهمجية.

يتحدث شاعر أطمة عن قصته في النزوح: ازدادت حدة القصف على كفرنبودة. وغادر القرية الكثير من الناس. وصممت أنا على البقاء مع المقاتلين هناك. ويوماً بعد يوم، وتحت القصف، اشتد إلحاح زوجتي وبناتي على الرحيل. وهذا ما حصل أخيراً، حين غادرن إلى قرية مجاورة، لأضطر إلى اللحاق بهن. أقمنا هناك مدة شهرين حتى لاحقتنا القذائف وغارات الطيران من جديد. وعندما احترت في أمري، وفكرت إلى أين أذهب؟ وأي أرض تتسع لنا؟ سلمت أمري لله. وقادتني الأقدار إلى هنا، إلى أطمة.

يؤمن نادر أن طريق التحرر صعب وشاق. ويعتبر الحرية بضاعة غالية ذات ثمن باهظ. ويرى ثورة السوريين قدراً مكتوباً عليهم فيه أن يجابهوا الموت لنيل كرامتهم: كتب الزمان عليك يا وطني الكرامة بالدماء/ وقضى بأن بنيك تقتحم الردى تُجب النداء

يقول نادر إنه صاحب رسالة عليه أن يؤديها من خلال الشعر، فهو لا يكتب لمجرد الكتابة، إنما خدمة لأهداف أعلى. ولا يهتم بوضع أسماء لجميع قصائده. فكيف يهتم بهذا وهو نفسه ـ كما يقول ـ قد فقد اسمه وهويته كإنسان؟ وذات يوم، عندما تنتصر الثورة، ويعود إلى قريته وداره، سيعود إلى هذه القصائد ويميزها بأسماء.

عدسة رزق | خاص عين المدينة

نادر أب لعائلة كبيرة من عشرة أبناء وبنات، وجدٌ لعدد من الأحفاد. استشهد ابنه الأكبر في دمشق على يد رجال المخابرات، وتشردت أسرته، وضاع اثنان من أبنائه الصغار في دمشق. ولا يعرف جدهما الشاعر أي شيء عنهما.

يعلق نادر على مقطع الفيديو الذي انتشر على اليوتيوب، وكان سبباً لشهرته، ويظهر فيه باكياً وهو يلقي الشعر: كنت ألقي قصيدة عنوانها "رسالة الروح"، ووجدت نفسي باكياً من دون انتباه مني. وكذلك بكى من كان يسمعني تأثراً.

وفي عودة إلى الماضي يذكر نادر أنه، ومنذ خمس وثلاثين سنة، كان يقاوم هذا النظام، بالرغم من كونه مدرساً في مدارس الدولة. فقد كان يحاول من موقعه في سلك التعليم أن يقف في وجه الخراب والإفساد، ولكنه لم يجد آنذاك كثيراً من الآذان التي تصغي إلى تحذيراته، فأجواء الرعب التي سادت طوال تلك العقود كانت تمنع الناس من الاستجابة أو الاهتمام بما يقول. وحتى زوجته كانت تنبهه أن للحيطان آذاناً تصغي وتودي إلى ظلامات السجون. والآن، وبعد كل ما جرى، وجد نادر من يصغي إليه. ووجد بين الخيام وفي ساحات المخيم مواقف يتلو فيها قصائده. ففي كل ثلاثاء يقيم نادر أمسية شعرية في مدرسة الثورة في المخيم.

لا يستطيع من يزور مدرّس التربية الإسلامية السابق أن يسمع كثيراً من الكلام العادي من هذا الشاعر الذي يسابق الوقت ويستثمر كل ساعة من النهار للكتابة وإنشاد قصائد الشعر العمودي التي طالما حرم لسنوات طويلة من إلقائها على الملأ. وغريب فعلاً، من حيث المبدأ، أن لا يكون المرء حراً في ما يقول إلا بعد أن يدمر مسكنه ويلجأ إلى خيمة.

يعتب نادر على الثورة لأنها تأخرت كثيراً. وبتأخرها فوتت عليه فرصة ان يكون ثائراً شاباً. ويتمنى لو كان أصغر سناً ليستطيع أن يحمل بندقيته ويكون مع الثوار، الذين يوقن كلما رآهم أن الثورة منتصرة حتماً على الطغيان، والنصر قادم مهما تأخر. والموعد الصبح، أليس الصبح بقريب؟

من ملامح اقتصاد سوريا الجديدة: سقف مرتجل للرواتب

ثائر العبد

في نيسان الفائت، شهدت أوساط المعارضة السورية في تركيا حركة واسعة لهيكلة مؤسساتها الوليدة واختيار الكادر الوظيفي الإداري والفني لها. وحتى هذه اللحظة، فإن الجهات الأكثر نشاطاً في هذا الشأن هي رئاسة الحكومة المزمع إنشاؤها، ووحدة الدعم والتنسيق ACU، وممثلية الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة في غازي عنتاب، ووحدة دعم المجالس المحلية. واللافت أن هناك تفاوتاً كبيراً بين الرواتب التي حددتها هذه الجهات لموظفيها مع سقف الرواتب السورية المعتاد، ناهيك عن ارتفاعه حتى بالمقارنة مع الرواتب التركية.

فقد أفاد مطّلعون أن راتب السائق 1000 دولار، بينما يتفاوت راتب السكرتيرة بين 2000 إلى 5000 دولار، والموظف العادي كذلك بين 2000 و5000 دولار. ويتقاضى مدراء المكاتب ما بين 6000 إلى 8000 دولار شهرياً. أما الراتب المقترح لرئيس مجلس الوزراء فهو 20،000 دولار، ناهيك عن المناصب الخدمية الملحقة به، كمكتب البروتوكول ومكتب الدعم اللوجستي وغيرها، التي تستهلك رواتب عالية هي الأخرى، ومصاريف تشغيلية كبيرة، وسيارات خاصة... إلخ.

إن هذه السياسة في تحديد ارتفاع مستوى هذه الأجور، فضلاً عن عشوائيتها، ستؤدي إلى رفع سقف الرواتب في سوريا الجديدة، في القطاعين العام والخاص، مما سيؤثر سلباً وبشكل مستدام على مستقبل سوريا الاقتصادي، من النواحي التالية:

1- بهكذا رواتب، سيقوم الكثير من العمال الزراعيين بالانخراط في الوظائف الحكومية والجيش والشرطة، وسترتفع بالتالي أسعار المنتجات الزراعية نتيجة شح العمالة، ما قد يؤدي إلى اللجوء إلى استيراد المنتجات الزراعية، واختلال معادلة الاكتفاء الغذائي الذاتي.

2- سيؤدي ارتفاع أجور العمالة الصناعية إلى إضعاف الميزة التنافسية للصناعة السورية، إن بقي منها شيء في ظل تزايد النهب المنظم للمصانع، وبالتالي إلى إحداث خلل كبير في الصناعة السورية وإضعاف البيئة الاستثمارية التشجيعية لسوريا، وإعاقة عملية التنمية المستقبلية.

3- سيسري هذا الارتفاع على عمال البناء والمهن الحرفية وعمال الخدمات بمختلف أنواعهم، ما قد يؤدي إلى استيراد عمالة رخيصة وتضاؤل فرص العمل بالنسبة إلى السوريين.

4- تشجيع نشوء نمط وسلوك استهلاكي جديد يهدر المال. وهو ما بدأت معالمه تظهر لدى بعض متأنقي الثورة في الخارج.

5- تقوم بعض الدول الآن بتمويل رواتب الحكومة المؤقتة وفروعها، والمنظمات المذكورة أعلاه وسواها... ولكن كيف ستستطيع الحكومة القادمة تغطية كل هذه النفقات؟؟ هل ستبقى رهينة التمويل الأجنبي "غير المشروط"!!! أم ستلتهم الرواتب واردات الخزينة الضعيفة!!

6- تم التعهد بتمويل الرواتب.. أما المشاريع فتعقد لها بعض الاجتماعات على استحياء ومن قبل "الدول المانحة" و"المنظمات الإنسانية"...

7- من المفارقة أن رواتب رؤساء مجالس المحافظات والمدن في الداخل تتراوح بين 15000 و25000 ليرة سورية، في ظل الانهيار المستمر لليرة، وهم تحت القصف والخطر، بينما يتقاضى موظفو الخارج المذكورون أعلاه رواتب تساوي عشرات أضعاف نظرائهم في الداخل، الذين يمدونهم بالشرعية فعلياً. مما يؤدي إلى تعميق الشرخ الموجود أساساً وترسيخ العزلة النفسية بين أثرياء موظفي الحكومة وفقرائها في الداخل.

يستغرب المرء كيف لم تستطع جهات التخطيط في التشكيلات المختلفة للمعارضة أن تتفق على سلم واحد للرواتب، مما يحيل مرة أخرى على ضعف التنسيق الواضح بين هذه الأطراف. أم أن الجهات الممولة المختلفة لكل طرف على حدة هي من اقترح سلمها الخاص؟ وهل يستطيع من يتقاضى مثل هذه الرواتب المحافظة على استقلالية قراره؟ وكم يستطيع أن يبقى ثورياً؟

لا تهدف هذه المقالة إلى التشكيك لا في نوايا ولا في نزاهة أشخاص مهما كان موقعهم، وإنما هي إضاءة ودعوة إلى استشراف مستقبل سوريا من الناحية الاقتصادية بفهم متكامل أعمق ونظرة مسؤولة أبعد.

سوريا الواحدة وسوريون عديدون

عبد الرحمن شلم

يشيع على نطاق واسع القول بأن الثورة وحّدت مشاعر كثير من السوريين في معاناة وهدف مشتركين، فقد تبادلت المدن والبلدات السورية الهتافات والتعاطف، وصارت أي مجزرة تقع في قرية بعيدة تجد صداها في المدن السورية المختلفة. كما يشيع القول بأن الثورة كشفت الغطاء عن انقسامات عمودية وأفقية عديدة في المجتمع السوري، فخلف صورة "المواطن" الجامدة والباهتة، التي أشاعتها إيديولوجيا البعث التقدمية، تكشّفت ولاءات طائفية وجهوية تبدو فاقعة عند رصد الطبيعة المذهبية للسكان في المناطق المؤيدة بشدة والأخرى الثائرة. وليس حديث تحالف الأقليات بخافٍ عن أحد من المتابعين في الداخل والخارج.

غير أن أنماطاً أخرى من التنوع أو الانقسام، نشأت عن ظروف الثورة، أو كشفت عنها هي الأخرى، صارت تستحق الرصد والمتابعة. ففي المدن الثائرة نفسها، ومن الأرومة القومية والمذهبية ذاتها للمنطقة، وجد النظام مؤيدين له، تراوح ولاؤهم بين المشاركة في عمليات القمع وبين مجرد الاكتفاء بإبداء الرأي، الذي يظل محل نقاش أو خلاف (لا يفسد للود قضية، كما يقول مثلنا الشهير) بوصفه وجهة نظر، في بلد تشتغل فيه السياسة لا آلة القتل والدمار الهمجية. فإذا كان الحديث عن مدى أهلية الأسد للحكم ـ مثلاً ـ فبمقدور المتحاورين أن يمضوا فيه كما يشاؤون، على طاولة محايدة الانفعال، أما إذا تعرض أهالي الشهداء والجرحى، وملايين النازحين والمهجّرين، لمن تفعمه الفرحة لمرأى قوات الأمن والجيش "النظامي" وهي تمارس "مهامها" الحالية المعروفة ضدهم، فإن خاتمة الموقف لن تكون مضمونة بالتأكيد.

وسوى ذلك، أفرزت الثورة تنوعات عديدة جداً، من الممكن الاستفادة منها في مجتمع صحي أُلِف تعددية العيش وديمقراطية السياسة، ولكنها قد تترك أثراً مشتتاً ما لم تنضبط وتحتوى في إطار جامع من الوطنية والتماسك. ومن هذه التنوعات بروز تيارات وأقطاب في الواجهة السياسية للمعارضة بمختلف تشكيلاتها (المجلس الوطني، الائتلاف... وسواهما) وسعي كل من هذه الأطراف لإثبات المشروعية في الداخل عبر الإنجاز أو الدعم أو مجرد رفع الصوت على الشاشات. ومن المعروف أن قسماً كبيراً من أقطاب العمل السياسي السوري المعارض الحالي قضوا شطراً طويلاً من أعمارهم في منافي أو مهاجر مختلفة، طبعت كلاً منهم بطابعها، ابتداءً من أنماط العيش، وطبيعة المؤسسات التي عمل فيها، وصولاً إلى حيازة الجنسية أو الارتباط مع جهات ومؤسسات بحثية وسياسية، أو جهات مخابراتية كما يلمح البعض تجاه بعض آخر.

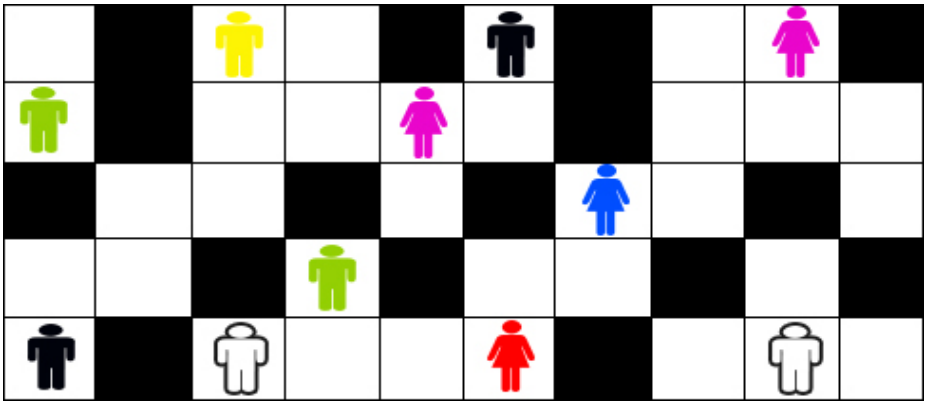

وتأتي تجربة الثورة ذاتها، لتفرض على المشهد شبكة واسعة من تعدد التجارب وغناها وافتراقها في آن. ومن هذا التعدد/ التفارق ما نلحظه من احتكاك ـ يجري تطويقه دوماً ـ بين معارضة الخارج وثوار الداخل، فضلاً عن الناشطين المتنقلين بين المساحتين بحكم ظروف عملهم في الثورة. ومن الصعب الزعم بأن طريقة إحساس هذين الطرفين (الفنادق والخنادق، بحسب تقسيم منحاز) واحدة، لأن للظروف الموضوعية حكمها الفاعل، مهما افترضنا من حرقة وطنية وتعاضد ونوايا حسنة.

كما تضيف تجارب النزوح تنوعاً هائلاً، فالنازحون في الداخل، إلى مناطق أخرى أو إلى منازل الأقارب التي اكتظت، يختلفون بالطبع عمن اضطروا إلى النزوح إلى الخارج، مع ما يعنيه ذلك من غربة وبعد عن باقي الأهل، وعدم قدرة على اللحاق بمستوى العيش في الدول المجاورة. ولا شك أن نازحي المخيمات مختلفون عمن استطاع استئجار بيت متواضع ـ في الغالب ـ وحافظ على مستوى مقبول من تلبية متطلبات الحياة، وربما حاول إنشاء عمل مستقل أو البحث عن وظيفة مؤقتة، أو ألحق أبناءه بمدارس وجامعات البلد الذي أقام فيه، مع ما يرافق ذلك وينتج عنه من تأثر بطبيعة هذا البلد. خاصة مع تعدد وتنوع هذه البلدان وثقافة العيش فيها، من تركيا إلى الأردن ومصر ولبنان، بالإضافة إلى دول خليجية متعددة، وبلدان عربية أخرى كالجزائر، ودول غربية مختلفة.

لا يؤدي طول مدة أزمة السوريين إلى مزيد من الضحايا والدمار فحسب، ولا يستنزف مواردهم العامة والشخصية فقط، ولكنه قد يحيل انقسامهم إلى تذرر مع طول المدة، واستمرار فقدان الأمان والاستقرار في البلاد حتى لو انهار النظام. وفي ظل غياب أرضية وطنية جامعة وصلبة، فإن هذا التعدد قد يجعلهم في مهب ريح إضافية، ترفد ما يمرّون به من عاصفة.

حلبية وزلبية توأم على الفرات..

هنادي اليـــوسف

إلى الشمال الغربي من مدينة دير الزور، وعلى مسافة 58 كم، تقع آثار حلبية وزلبية بجوار الفرات، والتي كانت محط الرحلات السياحية المدرسية منها والعلمية، لجمال المنطقة وغناها التاريخي. ولا يستطيع أحد ممن يستقلّون القطار القادم من حلب إلى دير الزور أن يخفي انبهاره بالمشهد الساحر لتلك التحفة الأثرية بإطلالتها على الفرات.

تقع المدينتان التوأمان على هضبة مرتفعة تغطيها حجارة بركانية، تعد امتداداً لجبل البشري، ويقسمها الفرات إلى قسمين، فتصبح مدينة حلبية أو زنوبيا على الضفة الغربية للنهر، ومدينة زلبية أو زلوبيا على الضفة الشرقية، بمسافة تفصل بينهما تقارب 3 كم.

ولموقع المدينتين أهمية كبرى في هذه النقطة من نهر الفرات، إذ يشكل موقعاً عسكرياً ممتازاً لتحصينه الطبيعي بالصخور الشاهقة الموجودة على سفح الهضبة، حيث بنيت مدينة الخانوقة في العصر العباسي، وسميت كذلك لاختناق النهر هناك من الصخور والأحجار. كما يتحكم هذا الموقع بالطريق النهري وطريق القوافل التجارية البرية القريبة منه.

يعود بناء المدينتين إلى العهدين البابلي والآشوري، إذ دانتا لهما بالولاء حيناً وبالثورة عليهما أحياناً أخرى، حتى قام ملك آشور ناصر بال بحملة عسكرية، سنة 878 ق. م، ونكل بأهلهما وخربهما وبنى مكانهما قلعتين على ضفتي النهر.

وتذكر المصادر التاريخية أن سكاناً غير معروفين سكنوا مضيق حلبية قبل الآراميين بقرون. وفي عهد السلوقيين وجدت عدة مدن في ممر حلبية، ولكنها زالت بشكل كامل ولم يبق من آثارها شيء.

ولما نمت مملكة تدمر ذلك النمو المفاجئ الذي جعلها من أكبر مدن الشرق، وبسطت سيطرتها على ضفاف الفرات؛ جعلت من المدينتين، اللتين تبعدان إلى الشرق منها مسافة 165 كم، مركزين تجاريين هامين درّا عليها الكثير من الأموال بفضل موقعهما الجغرافي والتجاري المميزين.

وفضلاً عن الأهمية الجغرافية والتجارية، فإن موقع المدينتين يشكل حصناً عسكرياً مميزاً. ويقترب طراز قلاعهما في بنائها من العمارة العسكرية البيزنطية. وتتميز مدينة حلبية بشارع ذي أعمدة رخامية على الجانبين، يمر ببابي المدينة الجنوبي والشمالي. كما وجدت كنيسة ودار للقضاء وأبراج وأهرامات استخدمت كمدافن تشبه الأهرامات التدمرية وحمام ومطابخ. وعثر على الكثير من أواني الطبخ وقطع قماشية صنعت في المدينة في ذلك الوقت، مما يدل على حضارة حقيقة ونهضة اقتصادية تميزت بها المدينة في ذلك التاريخ.

وزلبية هذه، التي تقع على ضفة الفرات الشرقية جنوب حلبية على بعد ثلاث كيلومترات، كانت تشبه توأمها في معظم تفاصيل بنائها ونمط عيش أهلها. وهي مرتفع من الحجر الجصي كانت عليه قلعة ذات أسوار وأبراج مبنية بالحجر الجصي. وقد جرف النهر هذا المرتفع لأنه يمر من تحته مسرعاً، وذهب بمعظم القلعة.

وعلى سفح هضبة حمة الجزيرة آثار رسوم أبنية من الحجر البازلتي هي زلبية القديمة الآشورية التدمرية. كما تشاهد إلى الشمال من القلعة بقايا سد كان قائماً على الفرات استخدم لغايات الري والزراعة والحد من فيضان النهر.

ولكن تعاظم أهمية تدمر التجارية ومدنها جر عليها الويلات ولفت نظر الغزاة المنافسين، فقام الرومان بقتال التدمريين وتدمير مدنهم ومنها حلبية وزلبية. وتذكر بعض الروايات التاريخية أن الملكة زنوبيا، بعد حصار الرومان لها في تدمر، تسللت محاولة الوصول إلى حلبية وزلبية على شاطئ الفرات، لكن حامية رومانية قامت بأسرها واقتيادها. ودمر الرومان حلبية وزلبية لتصبح أوابد أثرية تسرد قصة حضارة المدينتين التوأمين اللتين تغفوان على كتف الفرات.

علي حيدر: على المتورطين إرسال صور الهويات لتسوية أوضاعهم

لـؤي بـاكـير

ـ ألو....

ـ ألو... تفضلي... معك علي حيدر..

ـ عفواً... أنا طالبة التلفزيون السوري مو فرع الجوية...

ـ معك التلفزيون السوري.. الدكتور علي حيدر وزير المصالحة الوطنية..

ـ طيب. بس بدي قلو أنو شلون بدو يصالح بين الناس ومبارح نزلت قذيفة جنب الحديقة العامة بحارتنا وتكسر قزاز كل السيارات العابرة للشارع بهدوء؟

ـ أختي الكريمة... نحن قلنا ونقول ونكرر: من يريد من الأخوة المواطنين ممن تورطوا في الأحداث الأخيرة تسوية وضعه يرجى منه إرسال صورة عن هويته ورقم هاتفه ومكان تواجده على الرقم الموجود أسفل الشاشة ونحن سنقوم بتسوية وضعه...

ـ شلون يعني تسوية؟

ـ تسوية أختي تسوية.. تسوية وضع.. حضرتك ولا مرة عملتي تسوية وضع...

ـ يبي... يحرق حريشك سيادة الوزير... هلأ فهمت عليك.. يعني أنتو بتقولو أنو تسوية وبعدين بتعملولو تسوية.

ـ الأخت المواطنة أرجو عدم الدخول في صلب شباك المؤامرة وتوخي الكلام ذي الدلالات الغريبة.

ـ لك لا مو هيك. بس هلأ فهمت موضوع تسوية الوضع.. بالفعل بيستاهلو تسوولون وضعون.. عفكرة عطريق الزبداني قبل مزرعة بيت أختي في حاجز كتير مو حباب يا ريت تسوولو وضعو.

ـ أختي، في تلك المناطق البعيدة على هذا الحاجز الاتصال بأقرب قطعة عسكرية وإعطائهم الموقع وأرقام الهويات والهواتف، وهم سيتولون تسوية الأوضاع فيما بينهم.

ـ ياي تسوية كتير أكشن.

المذيع: اتصال يبدو هاماً للغاية من مدينة بنش.. يبدو أن هناك من يريد تسوية وضعه فوراً..

النفطي حولة: هذه هي المؤامرة

تعرّف جريدة تشرين أحد كتابها "النفطي حولة" بأنه ناشط سياسي نقابي تونسي. أما هو فيعتبر المشكلة السورية "مؤامرة كونية وإرهاباً دولياً تدعمه الإمبريالية العالمية بزعامة أمريكا وفرنسا وبريطانيا والعدو الصهيوني حليفهم الاستراتيجي وأدواتهم من مشيخات الخليج المتصهينة بزعامة قطر مع حليفها الرجعي في المؤامرة المملكة السعودية وحلفاؤهم من العثمانيين الجدد باتفاق تام مع عملائهم من الإخوان المسلمين الذين صنعتهم إنكلترا وحلفاؤهم من السلفيين الوهابيين التكفيريين لإنهاء دور سورية المقاومة والعروبة".

ولا يبدو أن هناك مشكلة في توصيف الكاتب التونسي للمؤامرة، فكلامه مجرد حلقة جامعة بين مصطلحات مختلف منظري النظام، إلا أنه رأى في مقاله أن ميزة شعب سورية أنه مؤمن بالوحدة والحرية والاشتراكية، بمعنى أن حزب البعث هو المتصدي لتلك المؤامرة المؤلفة من حوالي عشرة أسطر. لمن لا يعرف النفطي حولة، هو رئيس قائمة في حزب حركة الشعب الوحدوية التقدمية في تونس، وجه رسالة إلى الشعب التونسي بالقول: "إنني منحاز بالكامل وسأظل كذلك للجماهير المسحوقة من عمال وفلاحين ومزارعين وطلبة ومثقفين ثوريين وتلاميذ وتجار ورأسماليين صغار، نساءً ورجالاً، شيباً وشباباً، وجنوداً"...

وبإمكان النفطي حولة ترديد نتائج حرب تشرين على الصعيد الإستراتيجي ست مرات متتالية دون أن يخطئ، كما بإمكانه قراءة المنطلقات النظرية للحزب من آخر صفحة إلى أول صفحة دون الاستعانة بصديقة.

فضل شاكر على فضائيات النظام

عاش من شافك حبيبي، متى حبيبي متى، بياع القلوب... أغاني فضل شاكر القديمة تُعرض حالياً وبشكل متكرر على شاشات التلفزة السورية، في لفتة ذكية للغاية، للتنويه إلى أن هذا الفنان الذي ارتكب موبقات الفن أصبح الآن في خضم جماعة إرهابية تقاتل الشعب السوري...

بينما تبين مصادر من غرف المونتاج في الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون السورية أنه يتم تجهيز لقطات قبل وبعد، وأغانٍ للمجاهد اللبناني بخلفيات مأخوذة من بوابة مشفى تشرين العسكري.. ولافتات كبيرة مكتوب عليها "شكراً فضل" مع قطرات دماء مؤلمة على قماش أسود.

ضربات إسرائيل.. وأخبار القصر الجمهوري

5 دقائق فقط، بعد القصف الجوي الإسرائيلي الذي تعرضت له مواقع ومخازن عسكرية تابعة للنظام ومنها مخزن للسلاح بجبل قاسيون بدمشق منذ أيام، كانت كافية لشبيحة الأسد لكي يقدموا تفسيراتهم وتحليلاتهم التي ارتقت إلى العقل الاستراتيجي لقائدهم وملهمهم في الوطنية بشار الأسد.

نداء عاجل..

وعلى صفحات "فيسبوك" قام أدمن صفحة موالية لبشار الأسد بنشر بيان سريع ومقتضب كتب فيه: "خبر عاجل: انفجار رهيب يهز جبل قاسيون ناجم عن حريق في أحد مخازن للذخيرة أدى إلى انفجار المخازن المجاورة.. الدعاء يا شباب بتمني السلامة لقائد الوطن". وبهذه العبارة اهتزت المشاعر الوطنية لمؤيّد يدعى (منحبكجي وأفتخر) فكتب معلقاً على الخبر بقلق بالغ: "لا يكون الجيش الحر الحقير قصف هي المخازن!"، فتهجم على تساؤله عشرات الشبيحة مستنكرين هذا الاستنتاج "المغرض" والهادف إلى تدمير الروح المعنوية لـ "رجال الله على الأرض"، فما كان من هذا المنحبكجي الشريف إلا أن يخرج عن طوره التأييدي ويعود ليستخدم القسم المسؤول في دماغه عن المنطق، فيعلّق من جديد متسائلاً: "ولماذا تدعون بالسلامة لقائد الوطن بعد التفجير؟ فهو على حد علمي مقيم في منزله بحي المهاجرين وليس على سطح جبل قاسيون!".

فانهالت عليه الشبيحة تشتمه وتسبه بلا توقف، وكتب أحدهم غاضباً مستجمعاً كل شتائم واتهامات التسلسلية التي وجهها النظام للشعب الثائر: "وحق الرب هنت واحد مندس يا عدو الوطن.. قرد في واحد بيسأل هيك سؤال؟ شو ما عجبك الدعاء بالسلامة لسيد الرئيس يا صهيوني يا ماسوني يا إمبريالي يا سلفي يا عدو الأمة والوحدة الوطنية يا طائفي..".

تفاسير التفجير..

بعد مرور 15 دقيقة على القصف الإسرائيلي، نشرت الصفحة التشبيحية ذاتها بياناً في غاية الجدية والالتزام جاء فيه: "إلى شبيحة الأسد وجنود الله على الأرض.. وردني الآن من الرفاق في القصر الجمهوري أن طائرات العدو الإسرائيلي استهدفت مخازن السلاح على جبل قاسيون ومركز البحوث العلمية واللواء 105 التابع للحرس الجمهوري، وبهذا الخصوص نهيب بكم وبشرفاء الوطن أن تأخذوا حذركم فالقصف الإسرائيلي تم بالاتفاق مع الجيش الحر الذي حدد له أهدافاً استراتيجية تابعة لقواتنا الباسلة"

فعلّق المنحبكجي المنطقي نفسه على هذا البيان: "وكيف نأخذ حذرنا يا حبيب؟! هل نغلق الإنترنت؟!.. وعلى فكرة إسرائيل ليست بحاجة للمناظير الليلية التي يمتلكها الجيش الحر فهي لديها قمر صناعي.. يعني بيكشف الإبرة بين كومة قش يا حبيب"، ليرد عليه مدير الصفحة غاضباً: "قرد من وين هنت ولاه؟! ما بدي شوفك على الصفحة نهائياً. انقلع بقا".

وهجم بقية الشبيحة على هذا المنحبكجي المنطقي وانهالوا عليه بكل أنواع الشتائم، فرد عليهم بتعليق مرح: "حسناً .. طالما أنكم لا تريدونني بينكم سأعلن انشقاقي عنكم وسأنضم إلى جبهة رفعت الأسد في باريس".

بعد مرور نصف ساعة على نشر البيان نشرت الصفحة التشبيحية خبراً جديداً جاء فيه: "عاااجل: يا جنود الله على الأرض.. يا قوات الجيش العربي السوري.. وردني الآن من مصادر موثوقة في القصر الجمهوري أن قواتنا الباسلة ردت على العدوان الإسرائيلي بقصف مفاعل ديمونة النووي مستخدمة طائرات سلاح الجو الإيراني المتطور والذي لا تستطيع رادارات العدو أن تكشفه، وهو الآن يحترق وسنوافيكم بالتفاصيل".

ملاحظة: كتب أحدهم تعليقاً في غاية الروحانية بعد التفجير: "هؤلاء الإسرائيليون الغادرون الأوغاد.. لقد تعمدوا القصف في هذا التوقيت مستغلين قيام عناصر قواتنا الباسلة بأداء الصلاة وقراءة القرآن الكريم"، إلا أن هذا التعليق لم يلق صدى أو أية ردات فعل، وتم حذفه بعد دقائق.

علي كيالي... التشبيح وتنظيره

تبدو المقارنة ممتعة بين رجلين بارزين من رجال الشبيحة، الأول هو "الزعيم التاريخي" والمؤسس شيخ الجبل، والثاني هو علي كيالي أو معراش أورال، قائد الشبيحة الأتراك ومؤسس حركة البشاريين التي توالي آل الأسد في أنطاكيا ومناطق لواء إسكندرون في الجنوب الغربي لتركيا.

تندر المعلومات حول شيخ الجبل في الأوساط العامة، لكن المعروف أنه ابن عم لبشار، اسمه الحقيقي محمد، وقد استعار لقبه الشهير هذا من شخصية تاريخية معروفة تزعمت الجبل أيام الصليبيين. ولكن، بخلاف هذه الشخصية التي اشتهرت بمزيج من الدهاء والقوة، عرف الشيخ الجديد بالقسوة الفظة والتهور وممارسة التهريب. ولحماية الطرق الجبلية الخاصة وخدمة قوافل الدخان والأدوات الكهربائية، ولأغراض الوجاهة، تراكم لدى محمد الأسد عدد متزايد من الأعوان الذين اختارهم من كبار الأجسام ومحدودي المحاكمة العقلية، مع ميل واضح إلى الاستعراض والبحث عن المتع. وعرف هؤلاء بالشبيحة منذ ذلك الوقت.

وكما هو معروف، عاث هؤلاء فساداً في المحافظات السورية الساحلية وسواها. وتواترت قصص الاستيلاء على السيارات الفخمة وخطف الفتيات الجميلات، دون رادع جدي من قبل قوى الأمن التي كانت موكلة بالتنكيل بأي بادرة معارضة، أو الشرطة التي تنمرت على البسطاء والضعفاء من الناس فقط. وأغرت تجربة شيخ الجبل عدداً من أبناء عمومته، المنافسين على طرق التهريب والاستثناءات الحكومية ومقاسمة الناس في أرزاقهم بالإكراه، ببناء "تشكيلاتهم" الخاصة من الشبيحة. وسرعان ما تحول التنافس إلى احتكاكات وصدامات استخدمت فيها الأسلحة أحياناً. وعندما زاد الأمر حتى عن قدرة حافظ الأسد نفسه على الاحتمال، لم يجد في أجهزة "دولته" من يمكن أن يقوم بالمهمة الخطرة بانتهاك مصالح أحد أفراد العائلة، فأرسل ابنه الراحل باسل لتأديب أبناء عمومته وتقسيم المصالح بينهم وضبطها في حدود لا تستفز الرأي العام المحلي بشكل شبه يومي. وعلى هذا سارت الأمور حتى قيام الثورة.

أما أورال فهو يساري عبثي سابق، وتاجر مخدرات وشريك وصهر لآل الاسد. أسس في فترة مبكرة من حياته جماعة عسكرية شيوعية التوجه، وعبثية السلوك، تنطبق عليها كل مواصفات العصابة الخارجة على القانون. لوحق هذا الرجل وعصابته من قبل البوليس التركي بتهم جنائية أكثر منها سياسية. وتنقل بين لبنان وسوريا. وتفرغ أخيراً وبشكل كامل لتجارة المخدرات برعاية أولاد جميل الأسد. ومع اندلاع الثورة السورية عمل على تجنيد مقاتلين أتراك في صفوف الشبيحة، وشارك كقائد لهم في مذابح عدة، كانت مجازر بانياس آخرها. فكما يظهر في لباس عسكري عبر مقطع الفيديو الذي انتشر مؤخراً على اليوتيوب، يشرح أورال أهمية التصفية العرقية في بانياس، ويؤكد على المنافع الإستراتيجية لهذه التصفية لصالح الوطن. ولا يفهم أحد أي وطن يقصد هذا المطلوب الجنائي، سوريا كلها ووفق الخريطة التي تستثني مدينته ولواء إسكندرون كله، أم الوطن الثاني الذي كثر الحديث عنه ولا يعدو عن كونه كياناً طائفياً لن يملك مقومات الاستمرار؟

يشترك الرجلان في التوحش، وعدم احترام القوانين، وانفلات الغرائز بمختلف معانيها. غير أن ما يميز أورال عن شيخ الجبل هو إطلالته ـ البائسة ـ على عالم الإيديولوجيا، فهل يؤشر قدومه إلى احتياج الشبيحة إلى تنظير طائفي يهدد بتمزيق البلاد ويسير بأصحابه نحو المجهول؟

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة
ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina

تويتر twiter.com/3aynAlmadina

www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

الجسر المُعلَّق.... وداع الذاكـــرة